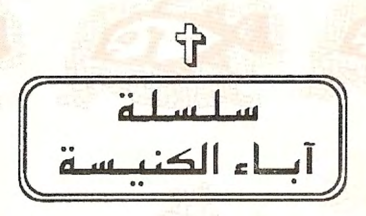


الرسالة إلى ديوجنيتس



[من الأدب المسيحى الأول]

✝

علم الباترولوچى
سلسلة آباء الكنيسة

الرسالة إلى ديوجنيتس

THE EPISTLE TO DIOGNETUS

ترجمة واعداد

انطون فهمى جورج



البابا شنودة الثالث



الكتـــــاب : الرسالة الى ديوجنيتس .

ترجمة وإعداد : أنطون فهمى چورج .

النـــاشـــر : كنيسة مارمرقس والبابا بطرس ـ الاسكندرية .

جمع تصويرى : كـويـن سنـتـر ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية .

المطـبـعـة : الأنبا رويس (الاوفست) ـ العباسية ـ القاهرة .

رقم الايـداع : ٩٢/٥٢٩٦

يُطلب من : مركز القديسين للتوزيع ـ سيدى بشر ـ الاسكندرية .

مكتبة الرجاء ١٨٦ شارع النزهة ـ سانت فاتيما ـ القاهرة .

مقدمة ومدخل

رسمت كتابات الآباء ايقونة حية لحياة الكنيسة فى العصور الاولى ، فجاءت اعمالهم تكملة لخدمة الرسل الحواريين الاطهار ، إذ انطلقوا يكرزون ويعلمون ويشرحون ويقطعون بكلمة الحق فى يقين وثبات ، فكانوا القوة الفعالة والفاعلة والمحركة للكنيسة على مدى الاجيال كلها من جيل والى جيل والى دهر الدهور .

لذلك عندما ندرس (علم الباترولوچى) آباء الكنيسة وتاريخ مسيحية القرون الاولى ، نقرأ حياة واعمال هؤلاء القديسين معلمى البيعـة واعلامهـا ، الذين صاروا لنا بمثابة كُتّاب معاصرين ، يحيون بيننا قريبين منا جداً بل وكأنهم فى نفس المكان الذى نعيش فيه ، لذلك اقتفاء آثار الآباء ودراسة فكرهم وتأمل اقوالهم ، يجعل مجد الكنيسة مجدداً لا يشيخ ، حياً ومعاشاً فى اذهان وقلوب اعضائها .

تلك الكتابات الآبائية مسطرة كجواهر مرصعة فى خزانة

التقليد الكنسى الحى ، كإمتداد للكتابات الرسولية ، فقد اعتبر الاباء ان الرسولية هى اساس الكنيسة وان الرسل هم اعمدة الكنيسة .... فصاروا هم آباء واعمدة يحملون الكنيسة فى قلوبهم وحياتهم ، ويخرجون من كنز قلوبهم جدداً وعتقاء ، نحتاج نحن ابناءهم ان نغوص وراء لأليئها فى سباحة عميقة ممزوجة بالايمان والمعرفة والتقوى ومحبة الصلاح .

وهكذا من الكتابات التى ورثناها من خزانة الاباء الروحية والتى استوعبتها الكنيسة ، بدأت تسرى سيرتهم ووعيهم الايمانى وفضيلتهم فى كياننا الروحى وتتسجل فى الوعى الكنسى لابناء الكنيسة محبى الآباء صفحة وراء صفحة كما بأصبع الله ابينا السماوى .

لقد امتلأت كتابات الآباء قداسة وهيبة وتعليماً لاهوتياً وسلوكياً مسيحياً انجيلياً ونوراً وانتماءاً كنسياً وخلاصاً ، فأراد لهم الله ان يكونوا آباء للكنيسة ، معشوقين عند الذين يقرأون وعند الذين يسمعون ، متخطين حدود الزمان والمكان ، حاضرين معنا اينما تتلمذنا لهم بعد ان صارت اقوالهم حضرة دائمة لهم ،

احياء يعلموننا ويستودعوننا دائماً ابداً نعمة المسيح .

فلم يكتف علم اللاهوت الابائى بالسردية الوقائعية للتاريخ الكنسى او بالرؤية التحليلية له ، بل قدم المؤلفون الروحيون آباء الكنيسة سيرتهم وخبرتهم الايمانية القادرة على هداية اقدامنا فى الطريق ، بفكر وخبرة تحول الى الايمان العامل والمضمون السرى للمسيحية ، وتؤكد لنا ان التاريخ (الحى) لا تصنعه القدرات البشرية وانما الروح القدس ، وان كنيسة الله لهى اشد رسوخاً من المؤسسات الارضية .

وحسناً قيل ان الامور تُقيّم بالجذور لا بالقشور ، لذلك كان الحرص على الالمام والوعى بالمتاح من فروع المعرفة الابائية ، والعلوم اللاهوتية التى كلمنا عنها عظماء الكنيسة وقديسوها البررة .

وتعتبر الرسالة الى ديوجنيتس *Diognetus* من الكتابات الروحية التى كتبت بإلهام فاكتملت فيها عناصر الوعى الايمانى والجهاد كخبرة روحية ، مملوءة بالسمو والاصالة المسيحية ،

والمحاماة عن الايمان الالهى ، والشهادة الصادقة للسر المسيحى حياة وسلوكاً ، فلاق بها ان تكون على مستوى كل انسان فى كل عصر فى كل العالم .

انها درة ابائية وسط كنوز اباء كنيستنا ، وهى لاشك تمثل خطاً تعليمياً لا يُمحى ، وذخيرة نحتاجها لتنير قلوبنا وعقولنا ، وتغذى ايماننا وسلوكنا وشهادتنا من اجل التمتع بغنى الحياة المسيحية وروعة الحب الالهى ، فبينما يهتم الغرب بالمنهج التحليلى ، نهتم فى الشرق بالخبرة الروحية والمعرفة المقترنة بالتقوى والجهاد ، لذا يأتى اهتمامنا بهذه الرسالة كصورة وصفحة من صفحات وصور تاريخنا المشرق ، وكوثيقة تاريخية بالدرجة الاولى على اعلى ما يمكن من الاصالة .

والقصد من اصدار هذه السلسلة الثمينة عن آباء الكنيسة ΙΧΘΥΣ ، التعرف على كنوز الكنيسة الروحية والفكرية التى ارست قواعد الفكر المسيحى فى المسكونة كلها ، والتى يرجع اليها الفضل فى اثرائه وغناه الى يومنا هذا ...

ويسرنى ان اقدم هذه الرسالة الابائية النفيسة ـ الرسالة الى ديوجنيتس ـ ضمن سلسلة آباء الكنيسة ، التى نصدرها بمناسبة العيد المئوى للكلية الاكليريكية ، والتى نتطلع اليها بقلب مستبشر واثق من عمل النعمة ، فى تكميل رسالتها التعليمية والقيادية ، فى عهد مشرق وعصر ذهبى ، رأينا فيه بابا الكنيسة استاذاً فى الكلية الاكليريكية وعميداً لها ليجدد مجد مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، ورأينا فيه بابا الكنيسة خادماً فى خدمة التربية الكنسية ورئيساً للجنتها العليا لتربية اجيال ثابتة فى الكرمة الحقيقية ، ورأينا فيه بابا الكنيسة شاعراً وكاتباً وصحفياً .....

وعرفناه ايضاً بطلاً من ابطال الايمان فلمسنا النهضة الروحية والفكرية ، والنهوض فى التربية الكنسية والاكليريكية فى الداخل والخارج ايضاً .

ففى مجال العناية بالتراث الابائى عنى غبطته بمشروع الميكروفيلم والميكروفيش لتجميع المخطوطات والكتابات الآبائية ، وبإنشاء مكتبات قبطية متكاملة من اجل التواصل

بتراث الكنيسة ، لغة وثقافة وعقيدة وفناً ... ويعلمنا قداسة بابانا البابا شنودة الثالث ـ حفظه الرب ـ «ان تراث كنيستنا الثمين ، هو حاجة العالم اليوم ، والمطلوب من ابناء كنيستنا ان يصيروا كارزين وخداماً فى كل مكان» .

وفيما تحتفل الكنيسة بالعيد المئوى للاكليريكية تحتفل ايضاً بمرور ثلاثين عاماً على خدمة قداسة البابا كأسقف للتربية الكنسية والمعاهد الدينية ، وتحتفل بعاهل الاكليريكية وعميدها البابا شنوده الثالث قاضى المسكونة ، الذى اعاد للكنيسة المصرية ريادتها ومكانتها فى عالمنا المعاصر .

وقد اعتمدت فى اصدار هذه الرسالة ، على ما ورد فى مجموعة "باترولوچى *Patrology*" لعالم الاباء الشهير جونز كواستن *Johannes Quasten* ، المجلد الأول ص ٢٤٨ - ٢٥٢ ، وعلى الترجمة الانجليزية الواردة بمجموعة «آباء ما قبل نيقية» .

ومن عمق القلب نقدم سجودنا القلبى للثالوث القدوس ، الذى اعطانا نعمة وبركة هذا العمل واعاننا لكى نخرجه الى النور ، وما

كان لنا هذا الا بفضل توجيهات وصلوات ابينا حضرة صاحب النيافة الحبر كلى الاحترام الانبا بنيامين النائب البابوى للمدينة العظمى الاسكندرية ، ليديم الله حياته وافضاله وينفعنا ببركة صلواته .

نتوسل الى روح الله ان يقودنا فى الطريق نحو حضن الآب ، يعمل فى حياتنا جميعاً لكى تستنير اذهاننا ونفوسنا وقلوبنا ، وتتقدس اجسادنا وحواسنا وسلوكياتنا وعواطفنا ، ببركة اباء الكنيسة وقديسيها ، وبصلوات الحبر الاعظم جزيل الغبطة البابا شنوده الثالث ، وللثالوث القدوس المبارك المجد والكرامة والعزة والتقديس الى الابد آمين .

صوم الميلاد
١٩٩٢ م



الرسالة الى ديوجنيتس

The Epistle to Diognetus

الفصل الاول

اهمية الرسالة واكتشافها

يعتبر البعض ان الرسالة الى ديوجنيتس اوديوچين اوديوجنس او ديوغنيتس ، ضمن الكتابات الرسولية ، ويصنفها البعض ضمن كتابات الآباء المناضلين او المدافعين *Apologists* .

ويكتنف هذه الرسالة النفيسة غموض كثيف ، فلم يتحدد كاتبها ولا تاريخ كتابتها ، وتجاهلها مؤرخو العلوم الكنسية المشاهير امثال يوسابيوس * ، وچيروم ، وجناديوس ... فلم يشيروا اليها كرسالة نادرة فى تاريخ الآداب المسيحية الاولى .

* أنظر كتابنا عن «العلامة يوسابيوس القيصرى» ضمن هذه السلسلة .

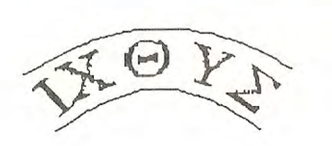
وكل ما نعرفه عنها هو انها اكتشفت فى النصف الاول من القرن الخامس عشر (١٤٣٦) ، فى حانوت من حوانيت القسطنطينية ، فعثر على النص ضمن اوراق مهملة ، على يد اكليريكى لاتينى يدعى توما ارزو ، جاء عاصمة الشرق ليدرس فيها لغة الفلسفة والعلم والحضارة ، ثم انتقلت منه الى راهب دومينيكانى حملها الى مدينة بازل ، وهكذا انسابت من يد الى اخرى حتى استقرت فى مكتبة الجامعة فى استراسبورج *Strasbourg* فى عام ١٨٥٩ .

وبعد عشر سنوات احترقت تلك المكتبة ، واحترقت معها مخطوطات قيمة عام ١٨٧٠ م ، فى الحرب الفرانكو باروسية *Franco-Prussian War* ، او الحرب الفرانكوالمانية *Franco-German war* . وهذا المخطوط كان يرقى الى القرن ١٤/١٣ ، وكان قبلاً محفوظاً فى دير *Alsatian* ببلدة *Maursmuenster* ضمن كتابات القديس يوستين الفيلسوف والشهيد .

ولان الرسالة تضاف الى مجموعة كتابات المدافع المسيحى

يوستين * ، ظن البعض انها من مؤلفاته ، لذلك كان احد علماء ستراسبورج قد سبق ونسخ هذه الرسالة بدقة وامانة ، من مخطوطة سنة ١٨٤٢ ، لكى تُنشر فى طبعة عامة تتضمن مؤلفات يوستين الشهيد ، وقد ظهرت الرسالة فى الجزء الثانى من هذه الطبعة التى لكتابات القديس يوستين فى عام ١٨٤٣ .

ولكن بالرغم من الاحتفاظ بمحتوى الرسالة فى اصدق صورة لمخطوطة ستراسبورج التى ذهبت فريسة نار الحريق ، إلا ان هذه الرسالة ليست من بين كتابات المدافع يوستين ، ليس فقط لاختلاف الالفاظ والاسلوب بل وايضاً المحتوى والفكر .



* أنظر كتابنا «القديس يوستين والآباء المدافعون» ضمن هذه السلسلة .

الفصل الثاني

كاتب الرسالة

يبدو ان كاتب الرسالة شاء متعمداً ان لا يضع اسمه ، إذ لا يريد ان تكون المسيحية شيئاً ظاهرياً ، فكيف له وهو يؤمن بأن الحياة الحقيقية هى نمو داخلى وعشرة مع شخص المسيح ، ان يقبل بعد ذلك ان ينال شهرة او دعاية .

والرسالة الى ديوجنيتس هى دفاع عن المسيحية كُتب فى شكل خطاب مُرسَل الى وثنى من الطبقة الراقية يُسمى ديوجنيتس ... ويعتقد العالم *H. Lietzmann* انه من المحتمل ان يكون ديوجنيتس هذا هو مُعلم الامبراطور مرقس اوريليوس *Marcus Aurelius* .

١ - ويتشابه محتوى الرسالة كثيراً مع كتابات ارستيدس *

* أنظر الفصل الخاص بارستيدس المدافع فى كتابنا «القديس يوستين والآباء المدافعون» ضمن هذه السلسلة .

Aristides ، فجاءت تحمل الكثير مما ورد فى كتابات المناضل ارستيدس ، لكن يبدو انه ليس هناك اعتماد مباشر على ارستيدس ، ومن الجانب الاخر استخدم الكاتب اعمال القديس ايريناؤس * .

٢ – ويعتقد *N. Bonwetsch* و *R.H. Connolly* ان هيبوليتس الرومانى هو كاتب الرسالة الى ديوجنيتس ، وهذا يعنى انها كُتبت فى بدايات القرن الثالث ، ومن الاسباب التى تؤيد هذا الاحتمال ان الكاتب يذكر فى متن رسالته ان المسيحية قد انتشرت فعلاً فى العالم كله .. علاوة على أن ما جاء فى فصل ٧ : ١ – ٥ يذكرنا بما جاء فى كتابات هيبوليتس [١] ، والفصلان ١١ ، ١٢ هما ملخصا عمله [٢] .

٣ – ويعتقد *P. Andriessen* بخصوص شخصية كاتب الرسالة ، ان كوادراتوس * *Quadratus* هو واضع الرسالة وكاتبها

* أنظر كتابنا «القديس ايريناؤس» ضمن هذه السلسلة .

* أنظر الفصل الخاص بالعلامة كوادراتوس فى كتابنا «القديس يوستين والآباء المدافعين» .

وانها ليست الا دفاع مفقود للمدافع كوادراتوس ، ورغم ان العبارة التى اقتطفها المؤرخ يوسابيوس القيصرى [٣] من دفاع كوادراتوس المفقود ليست موجودة فى الرسالة الى ديوجنيتس ، الا ان هناك فراغ بين السطور ٦ ، ٧ من الفصل السابع من الرسالة ، ويمكن ان تكون هذه العبارة من الدفاع مناسبة جداً فيها .

فالمعلومات التى وردت الينا عن كوادراتوس من تاريخ يوسابيوس المؤرخ الكنسى ومن القديس چيروم وفوتيوس جاءت كلها تتفق مع الرسالة الى ديوجنيتس [٤] .

والانطباع الذى نخرج به عن كاتب الرسالة عندما نقرأها ، يتفق مع ما هو معروف عن المدافع كوادراتوس من التقليد ، إذ يجابه الوثنية واليهودية ايضاً بأسلوب كلاسيكى .

بالاضافة الى ذلك وجه كوادراتوس دفاعه المفقود الى الامبراطور هادريان ، والحقائق التى تقدمها الرسالة عن الشخص المرسل اليه تناسب هذا الامبراطور للغاية .

٤ - تدل الرسالة على علاقة قوية بين كاتبها والقديس اكلمنضس الاسكندرى ، فيدور الكاتب المجهول للرسالة فى فلك اكلمنضس السكندرى حسب تعبير كافكن [٥] ، غير ان بعض الدارسين يرون ان ما هو مشترك بينهما انما هو قاسم مشترك فى التقليد المسيحى القديم ، خاصة فى مجموعة الدفاعيات والمحاماة عن الايمان ، وان الاثنين لم يعتمد احدهما على الآخر ، إنما ارتويا من ينبوع واحد مشترك هو التقليد الكنسى .

ويعتبر الاقرب الى الواقع هو هذا البحث الذى نشره العالم الالمانى «كافكن» فى مجلة الدراسات الكنسية القديمة (مجلد ٤٣ : ١٩٢٤ - ص ٣٥٠) واثبت فيه ان الرسالة من وضع القديس اكلمنضس الاسكندرى او من وضع احد تلاميذه .

عموماً يرى الدارسون ان هذه الرسالة سكندرية الاصل والمبنى واللفظ والاتجاه الفكرى ، وحسب «كافكن» ان الاسكندرية مهد اللاهوت المسيحى فى العالم ، هى مصدر الرسالة للاسباب التالية :

أ) الرسالة لا تضاد الثقافة والمعرفة ، وهو التيار الروحى واللاهوتى الذى تميزت به مدرسة الاسكندرية .

ب) الرسالة تفسر شجرة الحياة وشجرة المعرفة بشكل واضح نراه عند اكلمنضس واوريجانوس والبابا اثناسيوس الرسولى ولا نراه عند غيرهم من الآباء .

جـ) الرسالة ترفض الوثنية واليهودية لنفس الاسباب التى جاءت فى كتابات اباء الاسكندرية العظام .

وبالرغم من ان كاتب هذه الرسالة مجهول ، إلا أن كاتبها لابد وان يكون تلميذاً للآباء الرسل ، ومن العصور المسيحية الاولى ، لذا جاءت رسالته مملوءة من العبير الرسولى النقى الاصيل ، كنموذج للرسائل الدفاعية ضد الوثنية والاقناعية امام اليهودية ، فأتت كدرة ذات اشعاع بالغ النقاء ، معبرة عن الانتماء المسيحى ، وعن علاقة المعرفة بالحياة وعدم مظهرية الحياة المسيحية كسلوك وممارسات وقيم روحية معاشة فى نفوس الذين دُعى عليهم اسم المسيح ، وفهم لدقائق الايمان مع شمولها على

روح التهذيب المسيحى .

ويجب ان نقنع بترك معرفة الراسل والمرسل اليه ، فى الغموض الذى يحيط بالرسالة موضع الدراسة ، فقط نتقبل الرسالة كما كتبها الكاتب المسيحى فى غيرة كرازية ونارية للرد على تساؤلات وثنية ، كشهادة تاريخية على جسارة الآباء وديناميكيتهم وجهادهم الكرازى تجاه العالم الوثنى ، سواء كان اسم الراسل او المرسل اليه اسمين لشخصيتين رمزيتين او حقيقيتين ، فهى رسالة ايمانية روحية لها اهميتها التاريخية والتقليدية والعلمية ، إذ تنعكس خلالها رؤية الحياة المسيحية فى قرونها الاولى ، ومدى علاقة الكنيسة الناشئة بالمجتمعات المحيطة بها .

ولعل الايام والدراسات البحثية تتوصل الى فك الغموض الذى يكتنف هذه الرسالة من حيث كاتبها وزمان كتابتها .



الفصل الثالث

من هو ديوجنيتس ؟

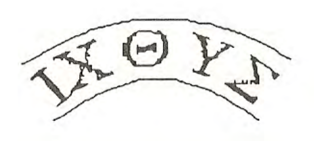
كُتبتْ هذه الرسالة بناء على طلب احد الاشراف الوثنيين ويُدعى ديوجنيتس من صديق مسيحى له ، أن يحدثه عن ديانته وعن طبيعة الحياة المسيحية .

ومن الصعب التعرف على شخصية ديوجنيتس وتعيين مكانته الاجتماعية على وجه التحديد ، وذلك لكثرة الذين حملوا هذا الاسم فى القرون الاولى ، إنما الواضح من الرسالة ان ديوجنيتس هذا شريف كان قد طلب من صديقه المسيحى ان يخبره عن مفاهيم ديانته وطقوسها وقيمها الروحية واللاهوتية .

وعن ماهية ديوجنيتس يرى «ليتزمن» انه ربما يكون معلم مرقس اوريليوس ، ويرى «هنرى مارو» انه صاحب منصب امبراطورى ، ويرى «اندرسن» انه الامبراطور ادريان .. وأى كانت شخصية ديوجنيتس فهى تعنى حامل السماء ، وهو لقب يتصف

به الاشراف كأحد الاقلاب الشرفية [٦] .

وقد جاء فى المقدمة : «انا عالم ، ياسيدى ديوجنيتس ، باهتمامك العظيم الذى تظهره لتتعرف على المعلومات الدقيقة عن الدين المسيحى ، لتطلع على حقيقة الاله الذى يؤمن به المسيحيون ، والعبادة التى يقدمونها له ، وعما يدفعهم الى عدم اهتمامهم بالعالم والاستهانة بالموت» .



الفصل الرابع

السمات الاساسية فى الرسالة

١ - تعتبر هذه الرسالة درة ثمينة [٧] فى وثائق الفكر المسيحى الاول ، وهى ايضاً رسالة متميزة فى مجموعة المحاماة عن الايمان المسيحى والدفاعيات ... لذلك صاغها الكاتب فى شكل اسئلة طرحها عليه صديقه الشريف ديوجنيتس ، مقدماً اجابة صريحة ودقيقة عن هذه التساؤلات .

٢ - اتسمت الرسالة بالدقة فى التفكير مع وضوح فى التعبير والعرض المزين باللطف والوداعة المسيحية ورقة العاطفة [٨] .

ففندت الاتهامات الموجه ضد المسيحية ، متخطية الدفاع الى التبشير الكرازى بطريقة مباشرة ولكن بطريقة التماسية وديعة ، فجاءت الرسالة عظة اكثر منها دفاعاً ، إذ لم تكن الكنيسة مهتمة بمواجهة العالم الذى كان يبغضها ، ولا كانت مهتمة بتفنيد الاتهامات الموجهة ضدها ، بل بالاكثر دقيقة وواضحة فى الكرازة

بالكلمة بكل حب مخلص ولطف مسيحى .

٣ - يصف الكاتب بكلمات رائعة سمو المسيحية عن الوثنية وافضلية الحياة المسيحية على صنمية الوثنية الحمقاء وعلى العبادة اليهودية ذات الفريسية الشكلية ، وفى نقده هذا للوثنية واليهودية ، يستخدم الكثير من المحاجات التى نجدها فى كتابات المدافعين اليونان ، ويرى عالم الآباء الشهير جونز كواستن[٩] *J. Quasten* ان افضل جزء من الرسالة هو ذلك الذى يصف فيه الكاتب سماوية الحياة المسيحية .

لذلك ابرز الكاتب جانبين :

أ - كيف يمكن للانسان ان يتعبد لصنم صنعته ايادى البشر من مادة قابلة للتلف والفناء والسرقة .

ب - الذبائح الدموية وعبادة الاصنام والسفسطة اليهودية .

وذلك لان ديوجنيتس الذى كتبت اليه الرسالة ، كان شديد الرغبة فى معرفة طريقة عبادة المسيحيين ، يستقصى بدقة عن اله المسيحيين ، وعن سبب احتقارهم للعالم واستهانتهم بالموت

وعدم احترامهم لآلهة الوثنيين وخرافات اليهود ... مستفسراً عن الممارسة المسيحية الجديدة التى دخلت الى العالم .

لذا يطلب كاتب الرسالة من ديوجنيتس أن يطهر نفسه من الخرافات والعادات الخاوية لكى يسمع للتعليم المسيحى الجديد ، فهل يعقل ان يكون الاله حجراً او نحاساً او خشباً او آنية او فضة يحرسها الحارس من السرقة ، او حديداً يفنى من الصدأ او فخاراً يكسر ، هل تعتبر هذه آلهة !! تلك المصنوعة من مواد قابلة للفساد ، الاشياء الصماء العمياء الخالية من الحياة المجردة من الشعور العاجزة عن الحركة ، المعرضة للتغيير والعفن ، ثم بعد كل هذا يخدمها عباد الاوثان ويسجدون لها ويدعونها آلهة .

«وإذا كانت هذه آلهة فلماذا تعينون اشخاصاً لحراستها وتغلقون عليها ليلاً ونهاراً لئلا تُسرق ، بينما تعبدونها انتم بالدم والذبائح» .

ثم ينتقل الكاتب ليبرز سمو المسيحية وكمالها الالهى وعبادة الاله الواحد رب الكل ، بالمقارنة بخرافات وحماقات اليهودية من

دم ودخان وذبائح ومحرقات ، معتقدين ان هذه الذبائح مقبولة لله

تلك هى وسوسة اليهود وخرافات السبوت والافتخار بالختان والتباهى بمظاهر الحماقة اليهودية .

وبهذا تكون الرسالة الى ديوجنيتس قد اوضحت سمو المسيحية وروحانيتها وكمالها عن اليهودية بارتفاعها فوق الناموسية والفريسية والحرفية القاتلة من تطهيرات وختان للجسد ، كما لا يحمل المسيحيون كبرياء اليهود واعتدادهم ، فبينما عبادات الوثنية واليهودية تحض اتباعها على شكليات لا روح فيها ، يدعو الكمال المسيحى الى الروحانية المحيية .

٤ - كشفت الرسالة عن سمو الحياة المسيحية وسلوك المسيحيين فى ايامه ، فيما يتعلق بالآتى :

أ - السلوك العملى المسيحى اليومى كترجمة فعلية صادقة للسمو الايمانى .

ب - الايمان المسيحى كهبة إلهية سامية فوق الادراك البشرى المحدود ، لكنه ايمان لا يناقض العقل ، إذ قدمه الله اللوغوس نفسه .

«العقيدة التى يدين بها المسيحيون ، ويحيطونها بجليل العناية ، ما كانت قط يوماً من استنباط انسان ، فإن ايمانهم لا يمت بصلة الى اسرار البشر ، انه بالحقيقة هبة القدير بالذات ، خالق الكل ، غير المنظور ، عطية السماء ، فهو الذى جعل الحق بين الناس ، اعنى كلمته القدوس غير المدرك ، الذى وطد الله فى قلوب المؤمنين به» .

«إن رب الكون ... قد ظهر للبشر فى ملء محبته .. كشف لنا عن قصده فى شخص ابنه الحبيب ، واعلن ما اعده لنا منذ البدء» .

«الله لم يبغضنا ، ولم ينبذنا ، ولم يغضب علينا ، بل اتسم بطول الاناة زمناً ، وحمل اثقالنا ، وتحنن علينا ، وحمل خطايانا ، وسلّم وحيده فداء عنا !! نعم لقد سلم القدوس للمجرمين ، والبار للاثمة ، والصديق للمنافقين ، والازلى للمائتين . بماذا يمكن ان تُستر آثامنا ان لم يكن ببره هو ؟ بمن نتبرر نحن الاثمة ان لم يكن ببر ابنه الوحيد ؟» .

«لقد ظهر الكلمة واعلن نفسه للبشر ، وإذ لم يفهمه من لم يؤمنوا به ، كشف عن سره لتلاميذه الذين عرفهم ، فآمن به تلاميذه ، ونالوا من معرفة اسرار الاب ، لهذا جاء كى يعلن ذاته . ولما استهانت به خاصته ، حمل الرسل بشارته الى الامم فآمنت به .

فى البدء كان وظهر كأنه جديد ، وهو القديم ، ميلاده يتجدد ابداً فى قلوب قديسيه ، انه الابدى ، ونحن اليوم نعرفه كأنه جديد !»

وحرصت الرسالة فى سمتها الرئيسية على ابراز الطبيعة الكنسية السماوية ، التى تتعامل بالواقع العملى بكونها تعيش على الارض .

«يقيم كل منهم فى وطنه ، إنما كغريب مُضاف ... انهم فى الجسد ، ولكنهم لا يعيشون حسب الجسد . يصرفون العمر على الارض ، إلا انهم من مواطنى السماء» .

كما وركز كاتب الرسالة أيضاً على الاخلاق السلوكية

المسيحية كعيشة سماوية وطاعة للقوانين المفروضة ومحبة لكل الناس ، مهما كانوا مجهولين او مدانين .

٥ - اكدت الرسالة على الانتماء الوطنى المسيحى ، وعلى أن المسيحية سر وانها حياة لا يمكن التعرف عليها خارجياً ، ولذلك يؤكد الكاتب مقرراً ان اللغة ، المسكن ، الملابس ، والعادات هى امور لا تخص الى الشعب الجديد الذى لا ينتمى الى الوثنية ولا الى اليهودية .

وسر سمو المسيحية هو فى الحياة الداخلية ، وهى التى تجعل المسيحى ارفع واعظم من كل الشرائع الموضعية وارقى من الفرائض ، فهى لا تعرف الاجبار والفرض ، والمسيحية فى العالم ولكنها ليست من العالم ، والمسيحيون على الارض لكن المواطنة الصادقة الحقيقية هى فى السماء ، لكن هذه الحياة السمائية لا تعنى العزلة عن العالم لان المسيحيين هم مثل النفس فى الجسد ولا يمكن فى هذا التشبيه ان نرى كيف يمكن ان تكون النفس فى عزلة عن الجسد ، هم خميرة تخمر ، هم ملح يملح (مت٥:١٣-١٦) .

فالمسيحى بينما هو يتطلع الى السماويات ، عليه ان يكون ايجابياً كما النفس للجسد ، إذ ان علاقة الكنيسة بالعالم كعلاقة الروح بالجسد ، مصدر حياته ، انها وجدت لتقدس العالم كخميرة للمجتمع البشرى ، وكالنور الذى يهدى الى السبيل .

وتؤكد الرسالة على المواطنة الصالحة للمسيحيين ، فهم ليسوا كما يتخيل ديوجنيتس ، شعباً متقوقعاً حول ذاته ، يقيم من ذاته دولة لها لغتها الخاصة وعاداتها المستقلة ، انما الايمان المسيحى هو المحبة الديناميكية بالانفتاح على البشرية ، على خلاف اليهود :

«لا وطن ، ولا لغة ، ولا عادات ، تميز المسيحيين عن سائر البشر ، فهم لا يقطنون مدناً خاصة بهم ، ولا ينفردون بلهجة معينة» .

وينطلق فكر كاتب الرسالة من ان علاقة المسيحيين بالعالم كالروح فى الجسد ، وكما ان الروح منتشرة فى كل اعضاء الجسم كذلك المسيحيون منتشرون فى كل مدن العالم يسكنون العالم ، لكنهم ليسوا من العالم .

لذا يقول كاتب الرسالة :

«يقيم المسيحيون فى العالم كما يقيم الروح فى الجسد ، الروح منتشرة فى اعضاء الجسد انتشار المسيحيين فى مدن العالم .

الروح تقيم فى الجسد ، إلا انها ليست من الجسد المنظور ... الجسد يكره الروح ويقاومها ، وان لم ينله منها اذى ، سوى انها تحول دون انغماسه فى حمأة اللذات ، والعالم يكره المسيحيين ، لا لانهم اساءوا اليه ، بل لكونهم يتصدون لما فيه من شهوات منحرفة فاسدة ، تحب الروح الجسد الذى يبغضها ، كما يحب المسيحيون مبغضيهم .

الروح سجينة الجسد ، ولولاها لما كان للجسد حياة ، والمسيحيون موثوقون فى سجن العالم ، ولولاهم لا قيام ولا حياة للعالم» .

ويخضع المسيحيون للقوانين ، باعتبارهم مواطنين صالحين ، يعملون بنشاط واجتهاد وجدية فى خدمة بلادهم ، يمتثلون

للشرائع والقوانين القائمة ، إلا أن نمط حياتهم يسمو كمالاً على الشرائع وعلى القوانين .. ولا يعملون الا الصلاح .

فاساس المنهج المسيحى فى العلاقة مع الدولة يعتبر ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، لذلك تنادى المسيحية كل نفس بالخضوع للسلاطين ، لانه ليس سلطان إلا من الله وبترتيب منه .

وتعتبر ايضاً ان الخضوع لسلطان الحاكم ليس بسبب القانون او العقوبة لكن بسبب الضمير ، فعلى المسيحى ان يدفع الضرائب ويعطى الخوف لمن له الخوف والاكرام لمن له الاكرام ، على اعتبار ان دفع الضرائب واعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله واعطاء الجميع حقوقهم سلوكية مسيحية ملزمة ، فى اطار الخضوع للحاكم والامانة للمجتمع كما لله !!

ويتمسك كاتب الرسالة بالاسلوب المسيحى الوديع فى مجال الولاء للدولة والاستعداد للاعمال الصالحة وعدم الطعن فى احد مع اظهار كل وداعة لجميع الناس .

لذا جاءت الرسالة كمنهج تعليمى فائق الوطنية والاصالة والانتماء والاخلاص للمجتمع وللدولة ، تستنهض وطنية المسيحى وامانته المطلقة للدولة باعتبارها مشيئة الهية ، مع الاحترام والتقدير الشديد للأحكام والحكام والقوانين التشريعية .

٦ - ركزت الرسالة الى ديوجنيتس على علاقة المعرفة بالحياة ، كأساس للانتماء والسمو المسيحى ، فهو اساس مبنى على العلاقة بين المعرفة والحياة ، وشجرة المعرفة ليست للموت وانما هى المعصية ، تلك المعصية هى التى ركز عليها الكاتب فى الفقرة (١٢ : ٢) .

لقد اكل آدم من شجرة المعرفة قبل ان يأكل من شجرة الحياة وهنا المشكلة ، فالحياة النابعة من الله هى حياة حقيقية وبالتالى هذه الحياة بذاتها تؤدى الى المعرفة الحقيقية ، فالحياة هى بالمعرفة وذلك ما يميز الانسان عن المخلوقات غير العاقلة .

ولكن الانسان الاول لم يطلب المعرفة الطاهرة النابعة من الحياة مع الله ، ولذلك تعدى بغواية الحية وطلب المعرفة المغشوشة ،

وهنا يصل كاتب الرسالة الى غايته ، لا حياة بدون معرفة وما من معرفة حقيقية بدون حياة حق . واخيراً يطلب الكاتب فى نص يشبه الصلاة "ليكن قلبك وعاء المعرفة" (١٢ : ٧) .

وتقول الرسالة الى ديوجنيتس "فلتكن لك معرفة الآب كأول درس" واصفاً هذه المعرفة الالهية الغير غاشة بأنها معرفة شركة ومعرفة حياة ، تتدفق فى القلب بالغبطة والفرح .

وتتحدث الرسالة عن اتحاد القلب بالمعرفة وقبول الكلمة داخل الحياة ، حتى تنمو شجرة المعرفة وتتجمع ثمارها ، فليست المسيحية مجرد فكرة او ايديولوجية من صنع البشر لكنها ظهور الكلمة والحق والقدوس غير المدرك الاله والمخلص .

٧ - يدعو الكاتب صديقه ديوجنيتس للايمان :

«الآن ، إن رغبت ايضاً ان يكون لك مثل هذا الايمان ، فلتكن معرفة الآب كأول درس لك ... تصور اية غبطة سيتدفق بها قلبك لمعرفته ! ولكم تندفع فى حب من احبك اولاً ، بحبك له تتمثل بجوده .... وستشجب خداع العالم وضلاله .

يوم تعى حقيقة الحياة المسيحية ، تزدري بما يسمونه موت الجسد ، لترهب الموت الحقيقى المُعد لمن سيُطرحون نهائياً الى النار الابدية جزاء اعمالهم السيئة ، وستنحنى اجلالاً وتعظيماً امام من قاسوا عذاب النار هنا لاجل البر وتغبطهم اذا ما كنت على علم بحقيقة النار الاخرى» .

«لتتحد المعرفة بقلبك ، ولتتقبل حياتك في داخلها الكلمة . واذا ما نمت هذه الشجرة (شجرة المعرفة) فيك ، وجمعت ثمارها ، فإنك لا تنفك تجنى ما يُرتجى نواله من الله ، وما لا تقوى الحية على الوصول اليه ، ولا الخداع ان يتسلل اليه ، اما حواء فإنها لم تبق بعد ضحية الاغواء ، بل ستظل عذراء ، ويُعلن الخلاص» .

وفى دعوة كاتب الرسالة لديوجنيتس لقبول الايمان ، يؤكد على عدم مظهرية المسيحية وان المسيحية لا يمكن ان يكون لها مظاهر خاصة للاسباب التالية :

أ - انها ديانة الله المتجسد ، وهل بعد التجسد يمكن ان يُضاف شيئاً للمسيحية ؟ فاللوغوس الكلمة ظهر واعلن عن

نفسه (١١ : ٢) ، ولذلك بعد ان جاء لكى يقدم لنا معرفة صادقة لا يمكن ان توضع ديانة قائمة على معرفة حقيقية بالله فى اطار مظاهر خارجية .

ب - لقد كشف الابن بتجسده عن ترتيب الازمنة (١١ : ٥) وما هو ترتيب الازمنة إلا اننا نعيش فى زمان الحياة والحرية لان الناموس الموسوى الذى أدب الانسان بالخوف صار الآن انشودة .

جـ - لقد وضع الابن الكنيسة فى العالم ولذلك هى امتداد لتجسده ، وهذا الامتداد هو انتشار حياة وليس انتشار مظاهر .

وبالجملة قدم كاتب الرسالة توصيفاً دقيقاً لايمان المسيحى والحقائق الخلاصية المسيحية كهبة الهية تسمو فوق العقل البشرى لكنها لا تناقضه .



الفصل الخامس

أقسام الرسالة

١) غيرة ديوجنيتس وأسئلته (١)
(مناسبة الرسالة)

٢) سمو المسيحية على الوثنية واليهودية (٢-٤)
(بطلان العادات الوثنية والخرافات اليهودية)

٣) سمو الحياة المسيحية (٥-٦)
(المسيحية وروح العالم)

٤) أصل المسيحية الإلهى . (٧-٨)
(سماوية المسيحية)

٥) ظهورها مؤخراً لإظهار عجز الإنسان بذاته (٩)
(المعرفة الالهية والحياة)

٦) دعوة ديوجنيتس لقبول الإيمان (١٠)
(هدف الرسالة : الدعوة للإيمان)

٧) الفصلان (١١ ، ١٢) يرى البعض أنهما دخيلان يخصان عملاً آخر ، ربما يكون من عمل القديس بنتينوس السكندرى مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية [١٠] أو من عمل هيبوليتس الرومانى [١١] ، أو ميليتس المدافع اسقف ساردس [١٢] .

نص الرسالة الى ديوجنيتس

«انا عالم باهتمامك الشديد الذى يدفعك لان تتعلم ـ ايها الشريف ديوجنيتس ـ عن تقوى المسيحيين ، لاسيما وانك تسأل اسئلة منتقاة واضحة ، عنهم وعن الاله الذى يؤمنون به وكيف يعبدونه ، وعما يدفعهم الى الازدراء بالعالم والى الاستهانة بالموت ، ويهمك ان تعرف لماذا لا يعترفون بالآلهة التى يعترف بها اليونانيون ولا يلتفتون الى خرافات اليهود ؟

وما هو سر حبهم بعضهم لبعض ؟ وايضاً لماذا لم يظهر هذا الشعب الجديد ، بل قل هذا السلوك الجديد فى الحياة إلا فى هذه الايام فقط ، وليس فى الماضى ؟

وانا ارحب بهذا الاهتمام البالغ واسأل الله الذى اعطى لنا قوة الكلام والاستماع ، ان يعطينى الكلام الذى يفيدك وعندما تصغى ، تجد (اجابة شافية على كل اسئلتك) ، فلا تشعر بأنك خسرت شيئاً من اصغائك لكلامى .

١ - ياليتك تطهر عقلك من التعصب الذى يمنعك من التفكير بل يا ليتك تخلع عنك كل العادات التى تتمسك بها لانها تخدعك ، بهذا تصبح انساناً جديداً يبدأ من جديد ، لان ما سوف تسمعه منى جديد ، وانت نفسك تسلم بذلك .

انظر ليس بعينيك فقط ، بل بعقلك ، ما هى حقيقة وشكل تلك التى تدعونها وتعاملونها كآلهة .

٢ - أليس الواحد منها حجراً كالذى نسير عليه (بأقدامنا) والآخر معدناً لا يسمو قيمة على أى آنية مصنوعة (من نفس المعدن) نستخدمها لقضاء الحاجة ؟ أليس الواحد منها خشباً نخره السوس والآخر فضة يحتاج الى بشر يحرسه من اللصوص ، او حديداً يأكله الصدأ او خزفاً لا فرق بينه وبين آنية (خزفية) تستعمل لادنى الاغراض .

٣ - الم يصنع كل منها من مادة فانية ؟ الم يُشكل (هذه المادة) الحديد والنار ؟ أليست كل هذه الآلهة من عمل نحات استخدم الخشب ، او من صنع الحداد او الصائغ او الخزاف ؟ وقبل

اخراجها فى شكل آلهة على ايدى الفنانين ، اما كان ممكناً ان يتغير شكلها (الآلهة) حسب رغبة الصانع ، بل ويتغير الى ما لا نهاية ؟ لانه من الممكن ، اليس كذلك ، ان تتحول الآنية المسبوكة من نفس المعدن الى آلهة ، والآلهة التى تعبدونها الى آنية اذا ما عكفت عليها يد الصانع الفنان .

٤ - وايضاً ، اليس من الممكن ان تتحول (التماثيل) التى تعبدونها الى آنية مثل أى آنية ، وان ذلك يتم بواسطة البشر ؟ ألا تراها (التماثيل) جميعاً صماء ، عمياء ، لا حياة فيها ولا شعور ؟ اليست كلها غير قادرة على الحركة ؟ ألا تتآكل ؟ الا يدب فيها الفساد ؟ .

٥ - هل تدعون هذه آلهة ؟ وهل هذه ما تعبدون ؟ وهل هذه ما تقدمون لها الصلوات ؟ وفى النهاية تصبحون مثلها ؟

٦ - اليس ما يحملكم على اضمار البغض للمسيحيين هو انهم لا يعتقدون ان هذه التماثيل آلهة .

٧ - ومع ذلك فمن بينكم انتم ايضاً من يزدرى بهذه الآلهة

التى تجلونها وتعبدونها ، بل انتم تتصرفون بشكل يجلب الاحتقار لهذه الآلهة ، لأنكم عندما تعبدون الحجر والخزف تقيمون الحراس لحراستها ، بل تغلقون عليها الابواب باحكام فى الليل ، ان كانت فضة او ذهباً ، وتقيمون الحراس فى النهار ، حتى لا يخطفها اللصوص .

٨ - ولو كان لهذه التماثيل قوة ادراك لرفضت التكريم الذى تقدمونه لها ، ولكن لانها بلا ادراك ، اعلنتم انتم عدم اهميتها بالعبادة التى تقدمونها وبدم وشحم الذبائح المضحى بها .

٩ - ليجرب أى منكم ان تقدم له العبادة والاكرام الذى يقدم للتماثيل ، اننى على يقين من انه لن يحتمل ، لان له ادراكاً وعقلاً ، اما التماثيل فإنها تقبل ما تقدمونه لها لانها فاقدة الشعور والفكر ، وقبولها هذا التكريم هو الدليل الذى تقدمونه انتم على بطلانها .

١٠ - عندى كلام كثير اقوله عن الاسباب التى تجعل المسيحيين يرفضون تقديم العبادة لهذه الالهة ، ولكن ما ذكرت

يكفى ، اما اذا وجد انسان أن ما ذكرته لا يكفى ، فإننى اعتقد ان الاستفاضة فى شرح الاسباب هى بلا جدوى .

+ + +

١ - ويلى هذا طبعاً ما تود ان تعرفه بشكل خاص ، أى أن تسمع (اجابة لسؤال) ، لماذا لا يعبد المسيحيون مثل اليهود ؟

٢ - اليهود على حق فى امتناعهم عن العبادة الوثنية التى تحدثت عنها وفى تمسكهم بالاله الواحد رب الكون الذى يعتبرونه سيد كل شىء ، ولكنهم يخطئون لانهم يعبدونه بذات الشكل السابق الذى تحدثت عنه .

٣ - وكما ان اليونانيين يبرهنون على غباوتهم بتقديم الذبائح للتماثيل الصماء ، هكذا على اليهود ان يعرفوا انهم يبرهنون على غباوة ، وليس على احترام ، عندما يظنون ان الله يحتاج الى الذبائح .

٤ - لان "الذى صنع السموات والارض وكل ما فيهما" (خر ٢٠ : ١١ مز ١٤٦ : ٦ ـ اع ١٤ : ١٥) والذى يعطى للكل ما

يحتاجه ، لا يحتاج لما يقدمه هو لنا .

٥ - وفى هذا كله ، يبدو لى انه لا فرق بين الذين يعبدون ويكرمون الله بتقديس الذبائح ، وتقديم الدم والشحم والمحرقات له ، وبين هؤلاء الذين يقدمونها للتماثيل الصماء ، ويبدو لى ان اليونانيين يقدمون لما لا يمكنه ان يشترك فى الذبيحة او يقبل تكريماً ، أى التماثيل ، وان اليهود يقدمون لمن لا يحتاج لشىء بالمرة .

+ + +

١ - وبالاضافة الى ما ذكرت ، أنت فى غنى عن ان امدك بكل اوهام اليهود الخاصة بالطعام ، او الخرافات المتعلقة بالسبت ، او تفاخرهم بالختان ، وزيف صيامهم ورصدهم طلوع القمر لتثبيت الاعياد ، فكل هذه توافه ، لا تستحق البرهنة على عدم قيمتها

٢ - وكيف يمكن للانسان ان يصنف ما خلقه الله لمنفعة الانسان الى طاهر ونجس وعديم النفع ؟

٣ - وماذا يمكن ان يكون هذا التصنيف سوى عدم تقوى ،

وإتهام لله بأنه نهى عن عمل الصلاح فى السبت .

٤ - أليس من السخرية ان يتباهى المرء بقطع جزء من جسده ؟ وأن يعتبر ذلك برهاناً على اختيار الله ؟ وعلى ان الختان هو الذى يجعلهم محبوبين من الله ؟

٥ - وماذا نقول عن مراقبتهم للنجوم والقمر ليرتبوا وفق دوراتها الشهور والايام الخاصة بالعبادة ، ويوزعوا وفق رغباتهم - على الاوقات المتعاقبة التى رتبها الله - اعيادهم ومناسبات نوحهم (توبتهم) ، وهل فى هذا برهان على التقوى ام فيه برهان على العبادة ؟

٦ - وهكذا اعتقد انك عرفت بما فيه الكفاية ، ان المسيحيين على صواب فى امتناعهم عن ضلال اليهود وجهلهم وكبريائهم ولكنك لن تتعلم من انسان سر التقوى المسيحية .

+ + +

١ - لا وطن ، ولا لغة ، ولا عادات تميز المسيحيين عن غيرهم من سائر البشر .

٢ - لا يقطنون مدناً خاصة ولا ينفردون بلهجة غير مألوفة ولا يمارسون أى شىء فريداً أو غريب فى حياتهم .

٣ - وتعليمهم لم يُكتشف بواسطة عقل وذكاء اناس مشغولين بالفكر ، وهم لا يدافعون مثل باقى الناس عن أى تعليم بشرى .

٤ - وبينما هم يعيشون فى المدن اليونانية (الامبراطورية) او فى المدن البربرية (خارج الامبراطورية) وفقاً لظروف كل منهم الا انهم يتبعون عادات البلاد التى يعيشون فيها ، فى الملبس ، المأكل ، وكل ما يخص الحياة ، الا انهم يظهرون بحياتهم وبأعمالهم ما فى انتمائهم الروحى من سمو .

٥ - يقيم كل (مسيحى) منهم فى وطنه ، ولكن كما لو كان غريباً . يتممون واجباتهم كمواطنين ويتحملون كل الأعباء كغرباء . كل ارض غريبة (خارج الامبراطورية) وطن لهم ، وكل وطن ارض غريبة .

٦ - يتزوجون كسائر الناس ، وينجبون اطفالاً ، ولكنهم لا

ينبذون اطفالهم .

٧ - يضيفون الغرباء مجاناً ، ولكنهم يحتفظون بالطهارة .

٨ - يحيون فى الجسد ، ولكنهم لا يحيون حسب الجسد .

٩ - يصرفون العمر على الارض ، الا انهم من مواطنى السماء .

١٠ - يطيعون الشرائع الوضعية . لكنهم يسمون على كل هذه الشرائع .

١١ - يحبون جميع البشر ، والجميع يضطهدونهم .

١٢ - يتنكرون لهم حيثما وجدوا ويحكمون عليهم بالموت ولكنهم بموتهم يربحون الحياة (٢ كو ٦ : ٦) .

١٣ - فقراء وبفقرهم يغنون كثيرين (٢ كو ٦ : ١٠) ، يفتقرون الى كل شىء ، وكل شىء فائض عندهم .

١٤ - يحتقرهم الناس ، ولكن احتقار الناس هو مجدهم ،

يتكلم الناس عليهم بافتراء ولكنهم يتبررون .

١٥ - يشتمونهم فيُباركون (٢ كو ٤ : ١٢) ، يُهانون فيُكرمون .

١٦ - عندما يُعلّمون الصلاح يُعاقبون احياناً ، كما لو كانوا اشراراً ، ولكنهم يفرحون بالعقاب كمن ينالون حياة .

١٧ - يحاربهم اليهود بشدة لانهم امم ، ويضطهدهم اليونانيون ، وان سألت مبغضيهم عن السبب فى هذه العداوة ، يعجزوا عن ان يقدموا سبباً لها .

+ + +

١ - وباختصار ، مثل النفس بالنسبة للجسد ، هكذا المسيحيون ، بالنسبة للعالم .

٢ - النفس منتشرة فى اعضاء الجسد ، والمسيحيون فى مدن العالم .

٣ - النفس تقيم فى الجسد ، إلا انها ليست من الجسد ،

والمسيحيون فى العالم ، إلا انهم ليسوا من العالم .

٤ – والنفس غير مرئيـة ، لكنهـا تعمل وتظهر فى جسد مرئى ، والمسيحيون تراهم عندما يعملون ، فيظهرهم عملهم فى العالم ، الا ان عقيدتهم لا يظهرها شىء .

٥ – الجسد يحارب النفس ، رغم ان النفس لا تؤذيه ، لأنها تحول دون انغماسه فى الملذات ، والعالم يكره المسيحيين لا لأنهم اساءوا اليه ، وانما لأنهم يعارضون ما فيه من لذات .

٦ – النفس تحب الجسد الذى يكرهها ، والمسيحيون يحبون مبغضيهم .

٧ – النفس سجينة الجسد ، وبدونها لا حياة للجسد ، والمسيحيون موثوقون فى العالم ، كما لو كانوا فى سجن ، ولكنهم سبب حياة العالم .

٨ – النفس غير مرئية ، تسكن فى الجسد المائت ، والمسيحيون كغرباء فى وسط الفانيات ، ينتظرون عدم الفساد فى السماء .

٩ – والنفس تنمو بإماتة شهواتها للطعام والشراب ، والمسيحيون عندما يُضطهدون يزدادون من يوم الى يوم .

١٠ – لقد اعطاهم الله منزلة النفس بالنسبة للجسد ، وهذا الشرف هو واجب لا يمكنهم ان يتخلوا عنه .

+ + +

١ – سبق وقلت ، ان ما من مرجع ارضى يمكن ان ترجع اليه المسيحية ، فالعقيدة التى يؤمـن بها المسيحيون ويتألمون بسببهـا ، ليست من اكتشاف انسان فان ، ولذلك فإن ايمان المسيحيين لا يمت بصلة الى اسرار البشر .

٢ – انه (الايمان) هبة ضابط الكل ، خالق جميع الاشياء ، الله غير المنظور الذى وهب الحق من السماء للبشر ، باللوغوس القدوس غير المدرك ، الذى يثبت الحق فى القلوب ، ولذلك جاء هو ولم يرسل الله ملاكاً الى البشر كما تخيل البعض ، او رئيس ملائكة او روحاً من الارواح المنوط بها رعاية امور الارض ، او احد المسئولين عن تدبير شئون السماء ، بل ارسل الله ، خالق كل

الاشياء ، أى الكلمة خالق الكون ، ذاك الذى به خلق السموات ووضع للبحر حداً لا يتجاوزه ، وتطيع كل عناصر الكون نواميسه العجيبة ، ومنه تسلمت الشمس النظام الذى تسير عليه فىْ النهار ، يطيعه القمر الناشر نوره فى ظلمة الليل ، تمتثل لاوامره الكواكب التى تدور فى فلك القمر ، منه استمدت جميع الاجرام ترتيبها وحدودها والسموات وما فيها ، الارض وما عليها البحر وما يحويه ، النار ، الهواء ، اللجة ، العالم العلوى ، والعالم السفلى ، وما بينهما . هذا هو الكلمة المرسل الى العالم .

٣ – اجل لم يرسله ـ الآب كما تخيل عقل الناس ـ بسلطان لينشر الرعب والهلع .

٤ – بل بكل حلم ورفق ، كما يوفد الملك ابنه الملك ، ارسله وهو الاله ، كما يليق به ان يرسل الى الناس ، ليخلصهم لا بالقوة بل بالاقتناع ، لان الاكراه لا يتفق مع صفات الله .

٥ – ارسله ليدعونا اليه لا لكى يخيفنا ، ارسله حباً ، لا للدينونة .

٦ – سيأتى يوم يأتى هو فيه كديان ، ومن يقوى ان يحتمل مجيئه .

٧ – الا ترى كيف يُرمى بالمسيحيين الى الوحوش الضارية ، بغية حملهم على انكار الرب ، ولكنهم بالموت ينتصرون .

٨ – الا ترى انهم كلما عُوقبوا كلما ازداد عدد الذين يعتنقون ايمانهم .

٩ – كل هذه ليست اعمال البشر ، بل هى معجزة الله وهى دليل على ظهوره (فى الجسد) .

+ + +

١ – ذلك لأنه من من الناس على الاطلاق فهم من هو الله قبل مجئ الرب ؟ هل تقبل التعاليم الباطلة والخرافات التى ينادى بها هؤلاء الذين يعتبرون فلاسفة جديرين بالثقة ؟ الذين قال بعضهم أن النار هى الله ، وبعض آخر ان الله هو الماء ، وآخرون انه عنصر من العناصر الأخرى التى صنعها الله .

٢ – ولكن ان كان أحد هذه الاراء جديراً بالقبول ، لكان من الممكن أن نسمى أى شىء من الأشياء المخلوقة الأخرى أنه «اله» ، ولكن هذه الأقوال هى ببساطة أقوال أناس مخادعين خاطئة ومروعة .

٣ – فلا يوجد انسان رأى الله أو عرّف الناس به ، ولكن الله أعلن عن نفسه اذ استعلن عن طريق الايمان ، الذى به وحده يمكن أن نرى الله ، لأن الله الرب مبدع كل الاشياء والذى عين لها مواضعها المتعددة ، أثبت انه ليس فقط محب للبشر بل وأيضاً طويل الاناة .

٤ – نعم لقد كان دائماً هكذا ، ولايزال وسوف يكون دائماً ابداً محبا وصالحاً وطويل الاناة وصادق ، فهو الوحيد الكلى الصلاح بكل ما فى الكلمة من معنى .

٥ – وفى انتظار تحقيق التدبير الذى احتفظ به سراً مخفياً لنفسه بدا لنا كأنه قد تركنا او كأنه غير مكترث بنا .

٦ – إلا انه كشف لنا عن مقصده ، فى شخص ابنه الحبيب

واعلن لنا ما اراده لنا منذ البدء واعطانا دفعة واحدة كل شىء ، واعطانا ان نشترك فى احساناته الينا وان ندرك ما اراده لنا ونفهمه ... وهكذا يبدو اننا جميعاً كنا نجهل ما اعده لنا .

+ + +

١ – لقد سبق الله ورتب كل شىء بنفسه ومع ابنه ، الا انه انتظر حتى هذه الازمنة الاخيرة ، وسمح ان تجرفنا ارادتنا الى الاهواء ، وتغوينا الشهوات بنشوة لذاتها ، ليس لانه يسر بأن يرانا نغوص فى الشر ونتمادى فيه ، وليس لانه يقبل الشر ، بل لانه احتمل الوقت الذى ساد فيه الشر من اجل الوقت الذى سيعلن فيه الحق وهو الان ، لكى نتأكد من البراهين التى تقدمها اعمالنا على عدم استحقاقنا للحياة التى انعم الله بها علينا الأن من قبل صلاحه ، وبعدما ظهر لنا بوضوح انه من المستحيل ان ندخل ملكوته ، اصبحنا الآن قادرين على دخول الملكوت بقوة الله .

٢ – لقد تفاقم شرنا وبات من المحتم ان المصير الذى ينتظرنا هو الموت جزاء فسادنا ، جاء الزمان الذى حدده الله ليعلن فيه

غنى جوده وعظمة قدرته ، وما اعظم رفق الله ومحبته ، لان الله لم يبغضنا ولم ينبذنا ، ولم يتذكر شرورنا ، بل صبر واحتمل ، وتحنن علينا وهو نفسه رفع خطايانا ، عندما اسلم ابنه الوحيد فدية عنا . اجل لقد اسلم القدوس عوضاً عن المجرمين ، والبرىء بدلاً من المذنبين والبار لاجل الاثمة وغير الفاسد من اجل الفاسدين والخالد من اجل المائتين .

٣ – وماذا كان يمكن ان يستر خطايانا غير بره ؟

٤ – بمن نتبرر نحن الاثمة ، إن لم يكن ببر ابنه الوحيد فقط ؟

٥ – كم حلو هو هذا التبادل ، بل كم يفوق الوصف هذا الوضع الجديد ، وكم هى غير موصوفة عطاياه . وقد اختفت شرور الكثيرين ببر الواحد ، وببر الواحد صار الكثيرون من الاثمة ابراراً .

٦ – لقد اقنعنا بعجز طبيعتنا فى الماضى عن نوال الحياة ، وارانا اليوم المخلص الذى له وحده القدرة ان يخلص من كانوا عن

الخلاص عاجزين ؟ وهكذا بعجزنا نحن وبقدرته هو ، اراد ان نؤمن بصلاحه ، ونرى فيه من يعتنى بنا ، لانه هو الآب والمربى ، وهو وحده صاحب المشورة بل والطبيب ، والحكمة ، والنور ، والكرامة ، والمجد ، والقوة ، والحياة . وبعد كل هذا اراد ان لا يكون لنا الاهتمام بالطعام والملبس .

+ + +

١ – ان رغبت ان يكون لك مثل هذا الايمان .. اولاً عليك ان تعرف الآب معرفة كاملة .

٢ – لقد احب الله البشر ، ولاجلهم خلق العالم ، ولسلطانهم اخضع الارض وما عليها ، ومنحهم العقل والادراك ، وسمح لهم وحدهم ان ينظروا الى السماء ، لانه خلقهم على صورته ، وارسل اليهم ابنه الوحيد ووعد من احبه بالملكوت السماوى .

٣ – تصور أى فرح سيتدفق فى قلبك ، واذا عرفت هذا معرفة حقة ، فكم ستكون محبتك عظيمة ، إذا احببت من احبك اولاً .

٤ – وبحبك له تتشبه بصلاحه ، ولا تتعجب من ان بشراً يتشبه بالله .

٥ – لا ظلم لقريب ، ولا السيادة على الضعفاء ، ولا كثرة المال ، ولا اللجوء الى الاكراه فى معاملة الذين لا مركز لهم ، يمكن ان يوفر السعادة ويساعد الانسان بأى شكل من الاشكال على امكانية التشبه بالله ، لان كل ما ذكرت من اعمال ينافى السعادة وغريب عن (طبيعة) القوة الالهية .

٦ – اما من يشترك فى مشقات قريبه ، واذا تفوق فى شىء ، ساعد الذى لا يتفوق ، واعطى المحتاجين من العطايا التى قبلها من الله ، فانه يصبح الهاً بالنسبة للبشر ، ومثل هذا الانسان هو من يتشبه بالله .

٧ – ومع انك ستكون قاطناً فى الارض إلا انك سوف تتمتع برؤية الله الكائن فى السماء ، وتبدأ بالحديث عن اسرار الله ، وسوف تكرم الذين يقاسون العذاب وتحبهم ، لانهم لم ينكروا الايمان بالله ، بل سترذل خداع العالم وضلاله ، عندما تعى حقيقة

الحياة السمائية ، سوف تزدرى بموت الجسد ، وترهب الموت الحقيقى الذى ينتظر الذين سيطرحون نهائياً الى النار الابدية .

٨ – وسوف تنحنى اجلالاً وتعظيماً لمن قاسوا عذاب النار ، مؤقتاً على الارض ، وتطوبهم لانك ستعلم حقيقة النار الاخرى .

+ + +

١ – كلماتى ليست صعبة ، ولا ما كتبته لك غير معقول ، بل كتلميذ للرسل ، صرت معلماً للامم ، وما تسلمته من السابقين انقله بدقة وامانة ، لمن تتلمذوا للحق .

٢ – لان من تعلم جيداً ، واحب اللوغوس ، كيف لا يسرع الى تعلم كل ما اعلنه اللوغوس الى تلاميذه الذين عرفهم ونالوا منه اسرار الآب .

٣ – لان الآب ارسله لكى يعلن ذاته للعالم ، ولما رفضته خاصته ، حمل الرسل بشارته للامم فآمنوا به .

٤ - فى البدء كان ، ولكنه اعلن عن نفسه من جديد ، وهو القديم ولكن ميلاده دائم فى قلوب قديسيه .

٥ - انه الابدى ، ولكننا نحتفل به كمولود ، وبه اغتنت الكنيسة ، واستعلنت النعمة وتكاثرت فى قديسيه . هو الذى يمنح الفهم والادراك ، ويعلن عن الاسرار ، وعن الازمنة ، ويفرح بمن يؤمن به ، ويعطى لمن يطلبه أى الذى يحفظ عربون الايمان ، والذى لا يتعدى تعاليم الاباء .

٦ - بهذا صار الخوف من الناموس انشودة وظهرت نعمة الانبياء ، والايمان بالانجيل صار ثابتاً ، وتم تسليم الرسل ، ونعمة الكنيسة لا يفوقها شيء .

٧ - وانت اذا لم ترفض هذه النعمة سوف تطلع على الاسرار التى يعلنها اللوغوس بواسطة من يشاء .

٨ - لانه بارادته يحرك كل الاشياء ويأمرنا ان نتكلم بكل اجتهاد ، وبالمحبة نصبح مشتركين معك فى كل ما يعلنه لنا .

+ + +

١ - واذا قبلت وسمعت بكل اشتياق للحقائق ، سوف تعرف ما يهبه الله لمحبيه ، لانهم يصبحون فردوس النعيم ، وفيهم تنبت شجرة مثمرة بكل انواع الثمار .

٢ - وفى هذا الفردوس غرست شجرة المعرفة وشجرة الحياة وسط الجنة ، ولكن شجرة المعرفة ليست هى التى تميت بل المعصية .

٣ - وما كتب ظاهر معناه ، وهو ان الله غرس فى البدء شجرة المعرفة والحياة وسط الجنة ، ليرينا ان الحياة هى بالمعرفة ، ولكن فى البدء لم يطلب الانسان الاول المعرفة النقية (من الله) فتعرى من المعرفة بواسطة غواية الحية .

٤ - لا حياة بدون معرفة ، وما من معرفة حقيقية بدون حياة حقة ، لذلك الشجرتان غرستا معاً فى مكان واحد (وسط الجنة) .

٥ - وقد ادرك الرسول قوة التصاق الحياة والمعرفة ، فشجب المعرفة المتحررة من الحق ومن الطاعة لوصايا الحياة التى يمنحها

٤ - فى البدء كان ، ولكنه اعلن عن نفسه من جديد ، وهو القديم ولكن ميلاده دائم فى قلوب قديسيه .

٥ - انه الابدى ، ولكننا نحتفل به كمولود ، وبه اغتنت الكنيسة ، واستعلنت النعمة وتكاثرت فى قديسيه . هو الذى يمنح الفهم والادراك ، ويعلن عن الاسرار ، وعن الازمنة ، ويفرح بمن يؤمن به ، ويعطى لمن يطلبه أى الذى يحفظ عربون الايمان ، والذى لا يتعدى تعاليم الاباء .

٦ - بهذا صار الخوف من الناموس انشودة وظهرت نعمة الانبياء ، والايمان بالانجيل صار ثابتاً ، وتم تسليم الرسل ، ونعمة الكنيسة لا يفوقها شيء .

٧ - وانت اذا لم ترفض هذه النعمة سوف تطلع على الاسرار التى يعلنها اللوغوس بواسطة من يشاء .

٨ - لانه بارادته يحرك كل الاشياء ويأمرنا ان نتكلم بكل اجتهاد ، وبالمحبة نصبح مشتركين معك فى كل ما يعلنه لنا .

+ + +

١ - واذا قبلت وسمعت بكل اشتياق للحقائق ، سوف تعرف ما يهبه الله لمحبيه ، لانهم يصبحون فردوس النعيم ، وفيهم تنبت شجرة مثمرة بكل انواع الثمار .

٢ - وفى هذا الفردوس غرست شجرة المعرفة وشجرة الحياة وسط الجنة ، ولكن شجرة المعرفة ليست هى التى تميت بل المعصية .

٣ - وما كتب ظاهر معناه ، وهو ان الله غرس فى البدء شجرة المعرفة والحياة وسط الجنة ، ليرينا ان الحياة هى بالمعرفة ، ولكن فى البدء لم يطلب الانسان الاول المعرفة النقية (من الله) فتعرى من المعرفة بواسطة غواية الحية .

٤ - لا حياة بدون معرفة ، وما من معرفة حقيقية بدون حياة حقة ، لذلك الشجرتان غرستا معاً فى مكان واحد (وسط الجنة) .

٥ - وقد ادرك الرسول قوة التصاق الحياة والمعرفة ، فشجب المعرفة المتحررة من الحق ومن الطاعة لوصايا الحياة التى يمنحها

الحق ، ولذلك قال «العلم ينفخ ، والمحبة تبنى» (١ كو ٨ : ١) .

٦ - وكل من يعتقد انه يعرف شيئاً بمعزل عن المعرفة الحقة التى تشهد لها الحياة ، فذاك لا يعرف شيئاً ، والحية تغويه ، لانه لم يحب الحياة ، اما من كانت المعرفة عنده مرتبطة بالخشية ، مستمرة فى طلب الحياة ، فذاك يغرس فى الرجاء ، ويطلب طلوع الثمر .

٧ - ليكن قلبك وعاء المعرفة ، ولتصبح الكلمة فيك شهادة حياة ، واذا ما نمت الشجرة فيك ، ورغبت ان تأكل من ثمارها ، فإنك بذلك تنال ما ترجوه من الله ، وهو ما لا تقوى الحية حتى على لمسه ، ولا ان يناله الفساد . وها كل شيء قد تغير ، وحتى حواء لم تبق بعد ضحية الاغواء والفساد ، بل هى عذراء تؤمن .

٨ - الخلاص قد ظهر ، والرسل يفهمون ، وفصح الرب يقترب والازمنة اكتملت ، وصارت منسجمة تماماً مع ترتيب الكون ، واللوغوس يفرح عندما يعلم به القديسون ، وبه يتمجد الآب الذى له المجد الى ابد الدهور . آمين» .

المصادر والمراجع

1) Philosoopoumena 10 : 33.

2) Quasten : Patrology, vol. I, p. 248.

3) Hist. eccl. 4, 3, 2.

4) Quasten, vol. I, p. 248 - 9.

5) Zeilschrift fur kirchengeschichte, t. XLIII, 1924, p. 350.

6) Maxwell Staniforth, p. 171.

7) I.M. Sailer, der Briefan Diognetus, eine perle de christlischen Alterthums, Munich, 1900, Apologie, 15-4.

8) H. Puech : Histoire de la Litterature Grecque Chrétienne, t. 2, p. 217.

9) See : Quasten : Patrology, vol. I, p. 250.

10) H.B. Swete : Patristic Study, 1904, p. 46.

11) Maxwell Staniforth, p. 172.

12) Adgar Goodspeed : A History of Early Christian

Literature, 1966, p. 105.

* راجع الترجمة الانجليزية للرسالة فى :

* Penguin classics, Maxwell Staniforth, Early Christian Writings, 1968, p. 173-184.

* Ante Nicene Fathers, Eerdmans, 19th-ed. vol. I, 1083-p. 24.

* ويمكن قراءة فقرات منها أو تأملات عليها فى :

* Bunsen's Hippolytus and His Age, vol. I, p. 188.

* Anne Fremanth : A Treasury of Early Christianity, 1960, p. 46-50.

* H. Musurillo : The Fathers of the Primitive Church, 1966, p. 147-149.

* J. Quasten, Patrology, vol. I, p. 248-252.

العيد المئوى
للكلية الاكليريكية

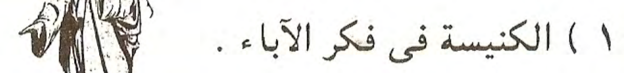
الفهرس

صفحة

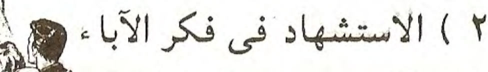
صدر من سلسلة الاخثوس



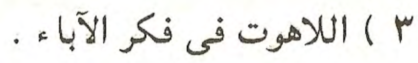
IXΘΥΣ



١) الكنيسة فى فكر الآباء .



٢) الاستشهاد فى فكر الآباء

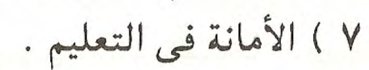


٣) اللاهوت فى فكر الآباء .

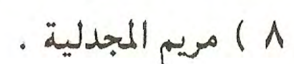
٤) رحلة الكنيسة فى الصوم الكبير .

٥) الأنشطة الكنسية .

٦) قوة الاسم (صلاة يسوع) .



٧) الأمانة فى التعليم .



٨) مريم المجدلية .

